محاضرات

سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

مُقوِّمات الدَّعوة إلى الله

لفضيلة الشّيخ صالح بن محمد اللحيدان

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ الهادي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، إمام الدعاة، وقائد الغر المحجَّلين، وعلىٰ آله وصحابته الذين حمَلُوا هـٰذا الدِّين ودافعوا عنه ونشروه في أرض الله؛ حتىٰ أشرقت الأرض بنور ربها، وعمّ الخير والفلاح، وانتعشت البشريَّة، وانتُشلت من أوحال الشِّرك والبدع والضلالات والكفر المظلم إلىٰ نور الهُدىٰ وصراط الله المستقيم، وعاش الناس ناعمين في ظلِّ دوحة الإسلام، ينهلُون من معينها الصافي.

وما اهتدىٰ مهتدٍ وسار علىٰ الطريق موفَّقٌ إلَّا ولأولئك الأسلاف من الأجر مثل ما لأجور من اتبعهم وانتفع بدعوتهم؛ لأنهم كانوا مع نبيِّهم صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعده أحسنُ النَّاس قولا وأصدقهم لهجة وأبرّهم وعدًا وعهدًا.

وقد قال المولىٰ جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت]، لا أحد أحسن من ذلك؛ لأن أشرف الكلام ما تعلَّق بأمر الله والدعوة إلىٰ دينه وتخليص البشرية من ظلمات الجهل والشرك والضياع إلىٰ أمنٍ وأمان واستقرار وسيرٍ علىٰ الصراط المستقيم.

الدنيا ملأىٰ بالمتناقضات، وتهب علىٰ الناس رياح عاتية من هنا وهناك ومعاصٍ إلا من رحم الله هو المعصوم، لا معصوم إلا من تمسك بحبل الله واتبع الهدىٰ.

ومهمة المسلم في هـٰذه الحياة أن يكون صادقا مع الله جَلَّ وَعَلَا، حريصا علىٰ نفع العباد، مجتهدا في ذلك جاعلا همه إرضاء ربه سبحانه، فإن من التمس رضاه وصدق بهـٰذا الالتماس ملأ الله له القلوب محبة، كما جاء في الحديث الصحيح حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عليه وأرضىٰ عليه الناس**»(١) وألفاظ الحديث متعددة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يتّخذ من نفسه علىٰ نفسه رقيبا، فإن النفس أمّارة بالسوء، وتتعرضها مغريات وتلبيسات، فلابد للإنسان أن يستبصر، وإذا استبصر الإنسان ومنحه الله جَلَّ وَعَلَا بصيرة في الدِّين وفق للخير العظيم؛ لكنه محتاجٌ لأنْ يسأل ربه جَلَّ وَعَلَا ويلتجئ إليه، ويكرر من

(١) **سنن الترمذي**: كتاب الشهادات، باب رقم (٦٤)، حديث رقم (٢٤١٤)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

ذلك؛ لأن كل إنسان ضعيف إلا إن قواه الله، كل إنسان ضال إلا إن هداه الله، كما جاء في الحديث الصحيح القدسي من حديث أبي ذر في «مسلم» وغيره أن المولىٰ جَلَّوَعَلَا يقول: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته؛ فاستهدوني أهدكم**»،(١) ولهذا شرع ربُّنا جَلَّوَعَلَا لنا أن نسأله الهداية في خمسة مواقف، وتتكرَّر هـٰذه الدَّعوة الدعاء في أكثر من موقع في هذه المواقف، وهـٰذا من رحمة الله بالعباد، فإن الإنسان قد تشغله دنياه، قد يشغله أهله، قد يشغله عمله في الدنيا، قد يشغله قرناء السوء الذين لهم آثار عجيبة في الصدِّ عن ذكر الله ودفع الإنسان إلىٰ المهالك وجره إلىٰ شَرَك قد لا ينجو متخلصا منها، فهو محتاج إلىٰ أن يسأل ربه الهداية واللطف والحفظ؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا القادر علىٰ كلِّ شيء، والعبد محتاج إلىٰ ربه في كل شيء، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾[فاطر:١٥]، وافتقارنا إليه جَلَّوَعَلَا لا ينتهي إلىٰ غاية، كلّما زادت صحة المرء أو غناه أو جاهه أو أسرته كلما عظمت حاجته إلىٰ ربه جَلَّوَعَلَا؛ فحاجته لربه لا تنفك لحظة من اللحظات، فمن وفِّق لمعرفة احتياجه لمولاه وأحسن الصلة به جَلَّوَعَلَا بالعبادة؛ أداء فرائض الدين، ثم الإكثار من النوافل، إذا وفِّق إلىٰ ذلك حُفِظ؛ كما جاء في الحديث الصحيح القدْسي الذي يقول الله فيه: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به**»(٢) إلىٰ آخر الحديث، فأنت محتاجٌ لأن يُحفظ عليك سمعك، أن يُحفظ عليك بصرك، أن يحفظ عليك لسانك، أن تحفظ عليك سائر جوارحك، وإنك لا تستطيع حفظها إن لم يكن لك من الله عون، والعون إنّما يحتاج لأن تطلب ذلك من ربِّك، وتلتجئ إليه، وتتبرأ من الحول والقوة إلّا به.

أعقل الناس، وأبعدهم نظرا، وأكثرهم حركة وتقلُّبا في الحياة، لا يستطيع أن يهيئ لنفسه سعادة، ولا أن يدفع عنها مضرة، وإنما ذلك كله للفعال لما يريد.

والناس في هـٰذه الدنيا كل منهم مطالب بأن يدعو إلىٰ الله، فإن أحب العباد إلىٰ الله أنفعهم لعباده، ثم إنّ من يدعو إلىٰ الله علىٰ خيرٍ عظيم وينتظر أرباحًا لا حدود لها.

فقد ثبت في «صحيح مسلم» وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من**

(١) **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٧٧).

(٢) **البخاري**: كتاب الرقائق، باب التواضع، حديث رقم (٦٥٠١).

دعا إلىٰ هدىٰ كان له مثل أجر من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»،[١] فأنت إذا وفِّقت لانتشال ضالٍّ، وهداية منحرف، وإيقاظ غافل، وتنبيه جاهل، فانتفَع بك، كتب الله لك من الأجر مثل ما كتب له ما دام يعمل بما وجهته إليه، وبالمقابل في نفس هـٰذا الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره «**ومن دعا إلىٰ ضلالة**» ما نوع الضلالة؟ وما نوع الهدىٰ؟ قال: «**من دعا إلىٰ هدىٰ**» نكرة يعمُّ كلَّ هدًىٰ للخير، والضلالة نكرة أيضا فتعم كلَّ ضلالة في الاعتقاد والسلوك والمعاملة، وغير ذلك من أنواع الضلالات؛ «**من دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الوزر مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا**».

فالإنسان علىٰ خير ما دعا، ولذلك قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم فتح خيبر، وقد أعطىٰ الرَّاية عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لأن يهدي بك رجلا واحدًا خير لك من حُمْر النعم**»[٢] أنفس أموال العرب، وأغلاها عندهم الإبل الحُمْر، فأخبر عليه أفضل الصلاة والتسليم أن اهتداء رجلٍ واحد علىٰ يد الدّاعي للهدىٰ خيرٌ له من أن يكسب نفائس الأموال وعظيمها؛ ولكنّنا نغفل عن ذلك وننشغل عنه، والموفَّق من يحاسب نفسه، إذا أمسىٰ نظر في جرائرها وخطاياها، والمواقف التي وقفها.

فمن وجد من خير حمد الله علىٰ التوفيق، وشَكَره، وسأله ألا يكون ذلك استدراجا.

وإن وجد غير ذلك حمد الله أن نبَّهه حتىٰ يتدارك بالتوبة، ويرجع إلىٰ ربِّه معتذرا ملتجئا.

وهـٰذه إنما هي حال الموفِّقين.

وكذلك إذا أصبح توجه لخالقه يسأله أن يحفظه؛ لأنه لا محفوظ إلا من حفظه الله، ولا مهدي إلا من هداه الله، الله يقول: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**»،[٣] ويخبر أن أعمالنا سنجدها؛ لكن من وجد خيرًا فليحمد الله، ليس الخير الذي يجده الواحد منا إن وجده آتيًا من حذقه وحُسن تصرفه وجميل تدبيره، وإنَّما جاء من لطف اللَّطيف الخبير فليحمد من هداه هـٰذا الطريق.

فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلَّا نفسه، فنفسك لُمْ ولا تلم المطايا، إنما عثَّرك في المسير وعاقك عن اللُّحوق بقوافل الخير والمشمِّرين لطلب النجاة عاقتك نفسك، فلُمْها وبماذا؟

---

(١) **مسلم**: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلىٰ هدىٰ أو ضلالة، حديث رقم (٢٦٧٤).

(٢) **البخاري**: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس إلىٰ الإسلام والنبوة..، حديث رقم (٢٩٤٢).

مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (٢٤٠٦).

(٣) تم تخريجه في الصفحة (٣).

أما في الآخرة فلوم ولا تدارك، الآخرة لوم لا تدارك معه.

أما في الدنيا فلوم يمكن معه التدارك؛ لأن التوبة بابها مفتوح، والمولىٰ جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه:٨٢]، ويقول سُبْحَانَهُ للمسرفين موجّها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يخبرهم ويدعوهم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]، التجؤوا إليه، واعملوا الأعمال الصالحة التي تكون مكفرات للذنوب، ولا تتكلوا عليها؛ فإنه لن يدخل الجنة أحد بعمله، كما قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقيل له: ولا أنت؟ فقال: «**ولا أنا، إلا أن يتداركني الله برحمته**».[١]

نسأل الله أن يتداركنا جميعا برحمته.

الدعوة إلىٰ الله يا عباد الله:

تارة تكون دعوة لمن لا يؤمن بالله، ليخرج من ظلمات الكفر والضلال والغي إلىٰ ساحة الأمن والأمان، وسواحل النجاة والسلامة.

وتارة تكون لمبتدعة خرجوا عن جادة السنة، وركبوا المسالك الوعرة، واتخذوا لأنفسهم خططا ومسالك؛ فيُدعون للالتزام بمنهج سيد الخلق عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وأتباعه رضوان الله عليهم أجمعين.

وتارة تكون خلطا بين دعوة ووعظ.

وقد كان سيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعظ أصحابه ويتخوّلهم بالموعظة، كما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما قال له أصحابه: لو تعاهدتنا أو كلمة نحوها؛ قال: إنما أفعل بكم كما كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يفعل معنا، كان يتخوَّلنا بالموعظة.[٢] وربما وعظ موعظة تهزُّ القلوب وترتجف لها الفرائس وتذرف العيون؛ كما في حديث العرباض بن سارية أنَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعظهم موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقالوا: يا رسول الله؛ كأنها موعظة مودع. لما أبلغ في الموعظة وعظّم فيها استشعروا كأنه يودِّعهم، والشأن كالرَّاعي الرفيق والمسؤول الحاني علىٰ من تحت يده، أن يدل من تحت يده علىٰ خير الطرق ويوصيهم بما ينفعهم، فقالوا: كأنها موعظة مودِّع فأوصنا،

---

(١) **مسلم**: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم (٢٨١٦).

(٢) **البخاري**: العلم، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة، حديث رقم (٧٠).

مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الإقتصاد في الموعظة، حديث رقم (٢٨٢١).

فقال: «**أوصيكم بتقوىٰ الله**»،[١] تقوىٰ الله هي رأس المال؛ لأنه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق]، ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال]، لأن من اتقىٰ الله حملته تقوىٰ ربه جَلَّوَعَلَا علىٰ تجنب المحرمات والمكروهات، والإكثار من نوافل الطاعات، وإحسان أداء فرائض العبادات؛ لأنه يرجو ما عند الله ويخاف عقابه.

فالإنسان في هٰذه الحياة مطلوب منه أن يحرص علىٰ تقوىٰ ربه جَلَّوَعَلَا، من تقواه أن يتعاهد أهل بيته ومن يتصل بهم بالموعظة والإرشاد والنصح والتفقد التام، فإن الإنسان أول ما يُسأل يسأل عن نفسه، ثم عمن تحت يده من زوج وذرية وإخوة وأخوات وأهل وجيرة، ثم من وراء ذلك.

والمسلم أمين مؤتمن إن أحسن الاحتفاظ وتعاهد الأمانة وينجو يوم السؤال والعرض علىٰ رب العباد.

هٰذا الدين الذي بني علىٰ الدعوة إلىٰ الله والجهاد في سبيلها وفتح البلاد والقلوب لها، قام به سلفنا الصالح مع نبي الهدىٰ صلوات الله وسلامه عليه ومع خلفائه الراشدين أزكىٰ هٰذه الأمة علىٰ الإطلاق ومع من جاء بعدهم، ولكم بهم أسوة واقتداء، وكل يقوم بما يستطيع ويؤدي ما يقدر عليه، ولا يكلف الإنسان إلا ما يطيق ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾[البقرة:٢٨٦]، من رحمة المولىٰ أنه لا يكلف العباد ما لا يقدرون عليه؛ لكن من ترك ما يقدر عليه وانتفت الموانع ومع ذلك ترك فالسؤال أمامه والسائل لا تخفىٰ عليه خافية وكتاب يجده لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، والعاقل ينبغي أن يستحيي من ربه؛ أنعم عليه بالمعرفة، أنعم عليه بالأمن، أنعم عليه بتحصيل لقمة العيش، لابد أن يشكر هٰذه النعم، والنعم التي لا تقع، فإن الناس في نعم لا يستطيعون إحصاءها؛ ولكنها من الله جَلَّوَعَلَا ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل:٥٣]، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل:١٨]، فمن شُكر هٰذه النعم أن نعرف حقها ونقوم بما نستطيعه تجاهها؛ بإصلاح ما يمكن إصلاحه، ودعوة ما نقدر علىٰ دعوته، وإرشاد من نتمكن من إرشاده، رجاءَ أن نحصل علىٰ أعمال إن قصرت جهودُنا وقوتنا البدنية والفكرية عن الوصول إليها، وصلتنا عن طريق من اهتدىٰ علىٰ أيدينا.

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦).

سنن ابن ماجه: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له من الأجر مثل أجور من تبعه علىٰ الإسلام إلىٰ أن ينتهي الإسلام، وكذلك أتباعه، ثم إن القيام بهذا العمل وظيفة الرسل ووظيفة أتباعهم، وكلّما كان الإنسان أقوىٰ بهذا العمل كان أكثر اقتداء بسيد الخلق صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويحتاج المرء إلىٰ أن يتعاهد نفسه بتفقد دواخلها، فقد يعمل العمل ولا يثاب عليه، فإن من مقومات الدعوة إخلاص العمل لله، وأن يكون همّ المرء إرضاء رب العالمين؛ لأن الإنسان قد يفعل الفعل يحب أن يحمده الناس عليه، ويُسرُّ بإعجابهم به، وربما كان ذلك هدفه، فلا يحصِّل إلا ما أراد، فإنّ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في الحديث الصَّحيح -حديث أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «**إنَّما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**»(١) فمن نوىٰ الخير وأدّاه موافقا للسنة نفعه النفع العظيم، ومن نوىٰ الخير وأخطأ موافقة السنة واتَّبع من لم يهده الله خسر، ومن فعل الخير لا يقصِد به وجه الله فهٰذا أعظم خسرانًا؛ لأن أول من تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة ثلاثة:

أحدُهم قارئٌ القرآن -وفي رواية: المعلم-، يعلم الناس الخير، فيقال له: ألم تكن تنهانا عن المنكر وتأمرنا بالمعروف؟ فيقول: كنت أنهاكم عن المنكر وآتيه وآمركم بالمعروف ولا آتيه. وفي ألفاظ الحديث الآخر أن الله يسألهم، يسأل من تعلم فيقول: ماذا فعلت؟ يقول: تعلمت فيك العلم وعلمته. فيقول: كذبت. تعلمت ليقال: هو عالم، وقد قيل. ثم يسحب للنار، نسأل الله العافية منها ومن كل سوء.

فالإنسان محتاجٌ لأن يتفقد نفسه لاسيما إذا خلا في مكان لا يراه أحد، ولا يعلم عن وجوده إلا من لا تخفىٰ عليه خافية، فإن الموفق للتفقد لمسيره وعمله وأحواله وإراداته، فيجد أمورا كبيرة وأحوالا متعددة؛ لكن عليه أن يتبصّر وأن يعالج نفسه لتكون بصيرته نافذة، فإنَّ البصيرة إذا عميت لم ينفع عمل وتدبر، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج].

فالبصيرة في الدين والتبصر بها يعطي الإنسان نظرا فاحصا ورؤية محققة يميز بها إيراداته ومقاصده وأهدافه التي يرمي إليها بالعمل الذي عمله أو بما يتركه من عمل، والمولىٰ جَلَّ وَعَلَا يعلم هٰذا وذاك، ويختم علىٰ الأفواه يوم الحساب تشهد الأعضاء.

نسأل الله ألَّا يفضحنا جميعا، فيتفقد المرءُ نفسه، فإذا وجد نية مختلطة ومقاصد مشبوهة، فليبادر

---

(١) **البخاري**: كتاب بدأ الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... حديث رقم (٠١).

مسلم: كتاب الإمارة باب قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، حديث رقم (١٩٠٧).

بالتوبة إلىٰ قابل التوب شديد العقاب وليعتذر إليه، فإن الله يحب العذر، كما قال نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا أحد أحب إليه العذر من الله**»[(١)] لذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين؛ وأنه جَلَّ وَعَلَا يحبّ المدح، ولذلك مدح نفسه؛ لأنه الل لكل مديح جَلَّ وَعَلَا، فيتعاهد المرء نفسه بالتوبة، وليتب مما يعلم من الذنوب ومما لا يعلم، فإن ضعف البصيرة والتخليط في العمل، وكثرة المخالطة للقرناء الذين إما أن يُضِلُّوا وإما لا يعينوا علىٰ الخير فيكونون أيضا قد أضلوا، كثرة الاختلاط من شأنها أن تُضعف البصيرة، وربما تراكمت الذُّنوب فأعمت البصيرة، فيحتاج الإنسان لأن يتعاهد نفسه كلّما أمسىٰ وأصبح بالتوبة والإنابة، وأن يختم كل مجلس يجلسه بالاستغفار، وبذلك أمر الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، أمر بالإكثار من التوبة، وأمر بختام المجالس بالاستغفار؛ لأن المجلس إذا كان مجلس خير كان ذلك الاستغفار طابعا علىٰ ذلك الخير فلا يتفلّت ولا يضيع، وإن كان ذلك المجلس مجلس سوء وتخليط كان ذلك الاستغفار بإذنه جَلَّ وَعَلَا كفّارة لذلك المجلس.

ربنا ما أضاعنا أكثر من أسباب الخير، ووسائل التخفيف التي يتخفف بها الناس مما يحملون من أحمال قاتلة من الذنوب والخطايا، ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيها الناس توبوا فإني أتوب في اليوم أكثر من مائة مرة**»،[(٢)] وكان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعدون له في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة ومن سبعين مرة كلها يستغفر الله، [(٣)] مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فالذي يريد أن يقوم بشيء من حقوق الدعوة ينبغي أن يكثر من سؤال الله والالتجاء إليه، والتوبة والإنابة، فإنّ الله إذا تاب عليه وقبل دعاءه واستغفاره وفقه وأعانه وسهل له طريق الخير.

ومن أهم مقومات الدعوة العلم، فإن العلم هو قوام الدعوة، وكل عمل لا يبنىٰ علىٰ علم عمل غير نافع، ويجب علىٰ من أعطاه الله علما أن يعمل بعلمه.

---

(١) **البخاري**: كتاب التوحيد، با قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا شخص أغير من الله»، حديث رقم (٧٤١٦).

مسلم: كتاب اللعان، حديث رقم (١٤٩٩).

(٢) **مسلم**: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث رقم (٢٧٠٢).

(٣) **سنن الترمذي**: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، حديث رقم (٣٤٣٤). وقال الترمذي: هٰذا حديث حسن صحيح غريب.

سنن ابن ماجه: كتاب الأدب، باب الاستغفار، حديث رقم (٣٨١٤).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

وقديما قيل:

وعـــالم بعلمـــه لـــم يعملـــن معـذب مـن قبـل عُبـاد الـوثن

ينبغي للإنسان أن يزكي علمه بالعمل والدعوة إلىٰ الله، وأن يحرص علىٰ الرفق بالناس والإحسان إليهم واستجلاب مودتهم، وأن يكون ليِّن الجانب، رفيقا بهم، اقتداء بمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجعله لينا رفيقا؛ فإن ربنا يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فالرفق واللِّين والعطف علىٰ العباد والحرص علىٰ انتشالهم من مسالك الذنوب ومستنقعاتها من مقومات الدعوة القويّة.

ينبغي للإنسان أن يوطن نفسه، إذا أراد الخير أنه سوف يلقىٰ مختلف النفسيات، أن يعوّد نفسه حسن التعامل مع من يغضب، ومع من يعرض، ومع من يجادل، وأن يحرص علىٰ أن يجادل إلا عند الضرورة، وأن يشكر من يدعوه إنما يدعوه وينصحه رأفة به.

وإذا أوذي ورُدَّ كلامه أو استهزئ به فليصبر، أليس يعمل ابتغاء وجه الله؟ لابد لمن أراد أن يعمل لوجه الله أن يلاقي ما يكره، ولهذا قال الله جَلَّوَعَلَا في محكم الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [العصر]، فلابد للإنسان أن يصبر وله أسوة واقتداء بسيد السادات محمّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبسادات من سلف ومن لحق، فقد ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نبيًّا من الأنبياء يدعو قومه فضربوه حتىٰ أدموه، فجعل النبي يحكي يعني يمثِّل لهم كيف كان موقف ذلك النبي، يحكي حاله؛ يمسح الدمع عن وجهه ويقول: «**اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».(١)

فالذي يريد أن يدعو الناس للخير وأعظم الأمور أن يدعوهم للعقيدة، فإن كل ذنب عسىٰ أن يُغفر إلا ما أخل بعقيدة التوحيد، يحرص الإنسان علىٰ دعوة من رأىٰ عنده انحرافا في العقيدة للاستقامة، ثم يدعو من رأىٰ عنه انحرافا عن فرائض الدين للتمسك بها.

لاشك أن أعظم فرائض الدين بعد شهادة ألّا إلٰـه إلا الله وأن محمدا رسول الله إقام الصلاة، فإن هـٰذه العبادة، أهم العبادات البدنية وأعظمها شأنا، وهي أول ما يسأل العباد عنه يوم القيامة، وهي التي من

---

(١) **البخاري**: كتاب استتابة المرتدين والنعاندين وقتالهم، باب (٥) ، حديث رقم (٦٩٢٩).

مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، حديث رقم (١٧٩٢).

حفظها وحافظ عليها كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة، وهي التي من حفظها وحافظ عليها كان له برهان ونجاة يوم القيامة، وهي الصلة بين العبد وبين ربه جَلَّوَعَلَا، فإذا أحكمها وأحسن أداءها، ودعا الناس إلىٰ حسن أدائها، والعناية بها، وُفِّق إلىٰ الخير العظيم، وقد كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يهتم بها غاية الاهتمام يجلس مع أهله يمازحهم ويضاحكهم فإذا حان وقت الصلاة قام مسرعا كأنه لا يعرفهم، وكان يوصي بها، وأوصىٰ بها في مرض موته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أوصىٰ بها وبالنِّساء، ولعل وصيته للنساء لخطرهن علىٰ الأمة، فإنَّ النبي يقول: «**ما تركت بعدي فتنة أضر علىٰ الرجال من النساء**»،[1] ويقول: «**إن أول فتنة وقعت في بني إسرائيل بسبب النساء**»،[2] والحديثان في «صحيح مسلم» وغيره.

فالداعي ينبغي أن يعتني بالعبادات، ثم من أراد أن يدعو إلىٰ خير فليحرص علىٰ عمله ليُنتفع بدعوته ويُصدّق ويحسن التعامل مع الناس، ولا يترفّع عن جاهل، ولا يأنف ويستأنف من رد قوله، أو إذا أخطأ فعُرِّف بخطئه لا يستأنف ويترفع؛ بل يستغفر الله من هـٰذا الخطأ، ويشكر من نبهه علىٰ ما أرشده إليه ويعرف ذلك له، فإن الإنسان بحاجة لمن يهديه إلىٰ عيوبه ويرشده إلىٰ أخطائه، حتىٰ يصلح ما عنده من فساد ويتدارك ما وقع فيه من خطأ، ولن ينجو من الخطأ أحد؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**كل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون**»،[3] يخطئ الإنسان بالعمل، يخطئ بالقول، يخطئ بالأخبار التي ينقلها، ومن أعظم ما ينبغي أن يعتني به الداعي أن يتألف القلوب، وأن يتجنب كل ما مَن شأنه أن ينفر الناس عن الخير أو أن يزرع بينهم الأحقاد والعداوات والإحن، فإن الله جَلَّوَعَلَا امتن علىٰ الناس بما ألف به من وجده هناك، وأخبره أنه لو أنفق ما في الأرض ما ألف بينهم؛ ولكن الله ألّف، وكل مؤمن ينبغي أن يحرص علىٰ تأليف القلوب واجتماعها، فإن بتأليف القلوب واجتماعها يحصل من الخير العظيم والكسب البالغ ما لا يعلمه إلا الله، ينبغي لمن عرف شيئا من الخير أن يبلِّغه؛ لكن بعد التيقن من معرفته، وأن يرشد إليه، وأولىٰ ما يكون أن يرشد أهله ويدلهم علىٰ الخير، وولده ومن معه وزملاءه في العمل

---

(١) **البخاري**: كتاب النكاح، باب ما يتقىٰ من شؤم النساء، حديث رقم (٥٠٩٦).

مسلم: كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، حديث رقم (٢٧٤٠).

(٢) مسلم: كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، حديث رقم (٢٧٤٢).

(٣) **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٤٩)، حديث رقم (٢٤٩٩).

سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥١).

قال الشيخ الألباني: **حسن**.

وجيرانه، ومن يختلط بهم في سفر من الأسفار، وألّا يغفل عن أسباب الخير ما واتته فرصة، وما أمكنه عمل، وأن يحتسب ذلك عند الله، فإن الله إذا علم منه صدق النية وحسن القصد والعزيمة وفقه؛ لأن التوفيق منه جَلَّوَعَلَا والهداية منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ثم الإنسان إذا رأىٰ منكرات متعددة ولم يستطع صد الناس عنها كلها، دعاهم لترك عظائمها والابتعاد عن شديد الأخطار منها، كما كان أساس دعوة الإسلام؛ لأن دعوة الإسلام ودعوة الرسل جميعا تبدأ بجذب الناس وجلبهم لعبادة الله وحده، ثم إذا استجابوا دعوا إلىٰ ما وراء ذلك.

وقد رسم نبي الهدىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أصول ذلك لمعاذ حينما أرسله إلىٰ اليمن وأخبره أنه يجد ناسا أهل كتاب، والشأن في من عندهم علم أن يكون عندهم التواء إذا كانوا لا يريدون الخير، وأن يكون عندهم مناقشات وأسئلة إذا كانوا يريدون استبانة الحق؛ فقال: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألَّا إلـٰه إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أجابوا إلىٰ ذلك، فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد علىٰ فقراهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أعمالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»،[١] فالإنسان يبدأ بما يدعو إليه بعظائم الأمور بعقيدة التوحيد، في بلاد المصلين أهل العقيدة، يدعو إلىٰ المحافظة علىٰ الصلاة.

إذا كانوا محافظين علىٰ الصلوات يدعو إلىٰ ترك المعاصي.

فإذا كانت البلاد تعج البدعُ في ربوعها يدعو إلىٰ تجنُّب البدع، والتخلي عنها؛ لأن كل بدعة ضلالة؛ ولأنّ كل ضلالة في النار كما جاء بذلك الخبر عن سيد البشر.

فإن كان هناك انحرافات في السلوك، حذَّر الناس من مغبة الانحراف وآثاره ويتدرج بهم، يستعمل معهم الرِّفق واللِّين والحكمة والموعظة الحسنة، كما قال الله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف:١٠٨]، والآية الأخرىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥]، ينبغي للإنسان أن يكون في كل أموره رفيقًا، وإذا رأىٰ صلفا أو شدة فيمن يخاطبهم أو يدعوهم رفَقَ بهم وتحول مما هو فيه إلىٰ ما قد يقبلونه تدرُّجًا في السؤال ورغبة في التيسير وطمعًا في أن يهتدي المدعو، وينبغي ألَّا ييأس، ينبغي للإنسان ألا ييأس وإن رد عليه الكلام مرة ومرة،

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلىٰ الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم (١٩).

فسنة الرسل أنها ترد مرة تلوىٰ الأخرىٰ، بل بعض الرسل لا يجد مستجيبا، كما جاء في الحديث الصحيح في مسلم وغيره من حديث ابن عباس، وقد ذكره شيخ الإسلام رحمة الله عليه محمد بن عبد الوهاب في «كتاب التوحيد»، لما قال: «**عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرجل والرجلان، ورأيت الرجل ومعه الرهط** -وفي رواية أخرىٰ: **ومعه الرهيط**-، **والنبي وليس معه أحد**»[١] ولاشك أن أكمل الناس الأنبياء، فإذا كان بعضُ الأنبياء لا يجد مستجيبًا... فلأعرف قدري ولتعرف قدرك، وأننا دون أولئك بما لا يعلمه إلا الله، ولا يغضب الإنسان إذا لم يُستجب له، فإن بعض الناس إذا دعا أو نصح ولم يستفد منه الناصح ولم يستجب غضب وتذمر فتنقلب الحالة من لطف إلىٰ عناد، ومن ملاطفة إلىٰ مشادة، فينفر الناس منه.

وليحرص الإنسان علىٰ تعرّف سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في دعوته**، وما لاقىٰ وما قام به، وتعرّف سير أصحابه رضوان الله عليهم وطريقة دعوتهم، وتعرف أئمة الدعوة الإسلامية من لدن محمّد صلوات الله وسلامه عليه إلىٰ يومنا هـٰذا.

كلُّ من قام بدعوةٍ وانتفع الناس بها، واهتدوا وتحابوا وتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ، ينبغي أن يعرف الإنسان طريقته ويحرص علىٰ الاقتداء به، والسعي المتواصل في نصرة هـٰذا الدِّين، فإن هـٰذا الدين أمانة في عنق كلِّ أحد، فإذا نصره وقام به قوم حازوا قصب السبق في الأجر والخير العظيم.

فينبغي للداعية أن يوطِّن نفسه علىٰ ما يلاقي، وأن يعرف أنه يسير عل منهج وطريق محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال الله في كتابه الكريم: بسم الله الرحمـٰن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت]؛ بل إنّ المحنة والشدائد غالبا ما تكون أكثر علىٰ الأحب إلىٰ الله جَلَّ وَعَلَا، يقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**»،[٢] فالداعي إذا وجد صدودا عن دعوته فليقتدي بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن عليه أن يحرص ألا يتجاوز الصراط الذي رسمه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه والمنهج الذي سلكه هو وأصحابه رضوان الله

---

(١) **البخاري**: كتاب الطب، باب من لم يرق، حديث رقم (٥٧٥٢).

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث رقم (٢٢٠).

(٢) **سنن الترمذي**: كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، حديث رقم (٢٣٩٨)، قال الترمذي: هـٰذا حديث حسن صحيح.

سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء، حديث رقم (٤٠٢٣).

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

عليهم، فإنهم كانوا علىٰ الصراط المستقيم، وقد بيّن ذلك النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأصحابه عندما خطَّ خطًّا مستقيما ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا ثم قال عن الخط المستقيم: «**هـٰذا صراط الله**» ثم قال عن تلك الخطوط: «**هـٰذه سبل**» وأخبر أن «**علىٰ كل سبيل شيطان يدعو**»،(١) والشياطين تتفنن طرائقهم في الدعوة والدعاية، ومن رأىٰ حب الخير أغروه حتىٰ يتجاوز الحد، وأغروه حتىٰ يتمادىٰ في الغيّ، ومن كان يتأثر بالشبه حشدوا له أنواع الشبه حتىٰ تفسد عقيدته، يتولىٰ ذلك شياطين الجن والإنس، فإن للإنس شياطينًا يقومون بمهماتهم، وللجن شياطينهم الذين يقومون بمهمّاتهم، وهدف الجميع إضلال البشرية.

فمن قام بالدعوة عليه أن يحرص علىٰ التفقد لئلا تجمح به نفسه راحلته؛ فإن الإنسان إذا جمحت به أفكاره وخرجت عن الجادة ظن أنه علىٰ الصراط، وإذا زاد سيره نأىٰ إلىٰ موقع قد لا يتدارك الرجوع إلىٰ الصراط المستقيم، فلابد من تفقد المرء نفسه صباح مساء، وأن يستلهم الله ويسأله أن يهده، وإذا تكلم بكلام أو عمل عملا نظر: هل وجد فيه هفوات، أو عثر علىٰ خلل، فليستغفر الله وليتُب وليتجنب ما عرفه من خطأ أو خلل في المستقبل، فإن الموفق هو الذي إذا عرف الباطل تجنّبه، وإذا اهتدىٰ إلىٰ الخير تطلّبه، يبتغي بهذا الفعل من ترك وعمل وجه الله جَلَّوَعَلَا والدار الآخرة.

بلادنا بحمد الله بلاد التوحيد والعقيدة الصافية، فلا قبور مشِيدة ولا زوايا للمتصوِّفة منتشرة، فنحتاج إلىٰ أن نحافظ علىٰ هـٰذه العقيدة، ولا يُحافظ عليها إلا بإقامة شعائره والعناية بواجباته وصيانة الألسن.

ولا شك أنه بدأت تنتشر بين الناس بعض الأفكار الوافدة مع بعض الوافدين الذين توجد في بلادهم أنواع من البدع وصنوفٌ من الشركيات، بلادنا إلىٰ وقت غير بعيد لا تسمع من يحلف بغير الله أبدًا، العامي الذي لا يقرأ ولا يكتب والمتعلم، بلادنا إلىٰ وقت غير بعيد لا تجد أحدا يقول لإنسان: لولاك ما فعلت كذا. بل العامي والمتعلم (لولا الله ثم أنت) زرعت في نفوسهم عقيدة التوحيد.

وهـٰذا من بركات وحسنات الإمام الذي أوجده الله جَلَّوَعَلَا لهـٰذه البلاد في وقت الظلم والظلمات، فتأسَّس في ظل دعوته كيانٌ قائم، ودولة بعد دولة، كل ذلك من فضل الله ثم من بركات عقيدة التوحيد التي لا تزال بحمد الله قائمة، إلا أنه يُخشىٰ من كثرة الاختلاط، وكثرة اختلاط الشباب بغيرهم، وكثرة اختلاط الوافدين والمستخدمين أن تلوِّث العقائد، والشبيبة الناشئة إذا نشأت بين يدي مربٍّ خلوٌ من

(١) مسند أحمد (**تحقيق أحمد شاكر**): مسند ابن مسعود، حديث رقم (٤١٤٣). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

العقيدة الصافية تنعكس آثاره علىٰ من يتربىٰ بين يديه.

فالواجب علىٰ أهل هـٰذه الدعوة أن يحرصوا علىٰ المحافظة عليها، وأن يجتهدوا في ذلك، فما نحن فيه من نعم؛ من نعمة الأمن ونعمة الخير ونعمة العقيدة الصافية كله من فضل الله ثم من بركة أولئك الدعاة، ذلك الإمام المجدد الذي ندين بهذه العقيدة بسبب ما وفقه الله جَلَّوَعَلَا له، من فضله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فلنحافظ علىٰ هـٰذه العقيدة، وبحفظها الحفظ التام نحفظ أمننا وخيار أمتنا، وهـٰذا يحتاج إلىٰ أن تنشأ الناشئة في هـٰذه الدعاية -دعاية الحق- والإخلاص لله في العبادة، وأن يحرص الناس علىٰ مقوّماتها، وألا يترك الناشئة وألا يترك غيرهم لمن يجتالهم، فإن الدعاة الشر -إما بقصد أو بغير قصد- يضلون الناس.

ومهمة من يأمر وينهىٰ ويدعو ويعظ ويرشد أن يعتني بهذه الحالة وبهذه العبادة وهـٰذه العقيدة، لتبقىٰ بلادنا متميزة، فإن بلادنا لها أكثر من قرنين ونصف وهي متميزة بين بلاد العالم الإسلامي كله بصفاء العقيدة، وهـٰذا من فضل الله جَلَّوَعَلَا علينا، وقد اقتدىٰ بأهل بلادنا فئام كثيرة في كثير من أصقاع العالم في مصر والشام والشرق والغرب، وهـٰذا من رحمة الله، ولا شك أن لذلك الإمام بشهادة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مثل أجور من تمسك بهذه العقيدة اقتداءً به، فعلينا نحن أن نشابهه ونشابه أمثاله في هـٰذا العمل.

أسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يوفِّقنا للقيام بأمره والنصح له ولكتابه ونبيه وأئمة المسلمين وعامتهم، وأن يرزقنا الإخلاص له في العمل سرا وعلانية، وأن يمنحنا معرفة أخطائنا، والاهتداء إلىٰ عيوبنا، وأن يوفقنا لإصلاح ما فسد، والتوبة مما اجترحنا من الذنوب والسيئات.

وأسأله أن يحفظ لهذه البلاد أمنها ويصون ربوعها ويعز شأنها ويرفع كيانها، ويوفق من ولاه الله أمرها، إلىٰ القيام بأمره، والنصح لعباده وحماية التوحيد ونصرة الحق وأهله وقمع الباطل وأهله، وأن يثيبه علىٰ ذلك بعز الدنيا وعز الآخرة وصلاح هـٰذه البلاد والعباد، واجتماع كلمة المسلمين في كل مكان علىٰ الحق إنه مجيب الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحابته ومن اهتدىٰ بهم واتبع سنتهم إلىٰ يوم الدين.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: بالنسبة لمجال الدعوة إلىٰ الله ما هو المنهج الأمثل في ذلك؟

الجواب: المنهج الأمثل منهج محمد بن عبد الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلا طريق إلىٰ الله إلا باتباعه صلوات الله وسلامه عليه، فإن الله يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، يقول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**»، قالوا: ومن يأبىٰ؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ**»[1] فلا طريق للداعي إلا أن يسلك طريق محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ودعوته صلوات الله وسلامه عليه واضحة في سيرته، فمن رحمة الله في هذه الأمة أنه هيأ لها جَلَّوَعَلَا من ينقل حركات محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من نوم ويقظة، ومن موعظة وتعليم، ومن جهاد، ومن حكم بين الناس، ومن إمامة وغير ذلك.

كل ذلك مسطر ما علىٰ طلبة العلم إلا أن يقرؤوا في كتب الشمائل؛ أي: خصال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وترجمته والأحاديث التي رواها الثقات عنه تجد دعوته، إن علّم فهو أحسن الناس تعليما، إن وعظ فهو أبلغ الناس موعظة، إن أرشد فهو ألطف الناس إرشادا، كل خير فهو في أكمله وذروته صلوات الله وسلامه عليه.

السؤال الثاني: ابتلي بعض الناس -والعياذ بالله- بالوقيعة في لحوم العلماء وطلاب العلم واستحداث الإشاعات، ما نصيحتكم لمن وقع في ذلك؟

الجواب: أما الإشاعات واستحداثها فأمر عظيم؛ لأن الكذب من أخبث المراتب وأسوأ المراتب.

أما الغِيبة إذا كانت بذكر عيوب هي فيهم -هي في العلماء- فهي الغيبة، والله حذر منها في محكم الكتاب، والنبي أخبر صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن قبحها بأخبار متعددة، هـٰذا إذا كان ما يقوله المغتاب موجودا فيمن يغتابه، فهو مغتاب آثم مرتكب كبائر الذنوب.

أما إذا كان يقول ما ليس في المغتاب فهـٰذا هو البهتان العظيم، سئل النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن الغيبة، قيل: ما الغيبة؟ قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قال: أرأيت إن كان في أخي ما يكره؟ قال: «**إن كان فيه ما يكره قد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما يكره فقد بهته**».[2]

هـٰذا يوضح أن البهت أعظم من الغيبة، والغيبة مثلها الله جَلَّوَعَلَا في القرآن الكريم بمثابة من يأكل لحم أخيه الميت، لو تحدث الناس عن إنسان يأكل لحوم الناس لاستبشعوا ذلك ولو لم يروه، ولو رأوه لما

---

(١) **البخاري**: كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب الإقتداء بسنن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حديث رقم (٧٢٨٠).

(٢) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، حديث رقم (٢٥٨٩).

استطاعوا أن ينظروا إلىٰ ذلك الموقف والمنظر البشع، فكيف إذا كان يأكل لحم أخيه؛ لأن هـٰذا من قبائح الأعمال.

وإذا شاعت الغيبة وانتشرت بين الناس فقد انتشر الشر، وإذا حواها وتولاها من ينتمي لطلب العلم، ويدعي أنه يفعل ذلك تقرّبا إلىٰ الله فقد أعظم الفرية علىٰ الله جَلَّوَعَلَا.

لكن ينبغي لمن سمع مثل ذلك أن يرفق به وينصحه وإذا أصر علىٰ ما هو فيه فليفارق مجلسه، فإن العذاب إذا نزل لا يختص به مرتكب الجريمة فإن ربنا يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال:٢٥]، ويقول الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن البلاء: أن البلاء إذا نزل عمّ، ويخبرنا عن القوم الذين يخسف بأولهم وآخرهم، فلما سألته عائشة وقالت: أيخسف بهم وفيهم من ليس... قال: «**يكون مهلكهم واحدا ثم يبعثون علىٰ نياتهم**»(١) فالمصيبة تقع علىٰ الجميع.

نسأل الله أن يهدي هٰؤلاء، وأن يهدينا جميعا، ثم هٰؤلاء الذين يقعون في أعراض الآخرين هل كانوا برءاء من كل عيب؟ هل كانوا خالين من كل خطأ؟ هل كانوا كاملين في أخلاقهم وأعمالهم وصورهم؟ إن كانوا يعيبون في منظر فليقف أحدهم عند المرآة وينظر إلىٰ نفسه، ثم يحمد ربه علىٰ ما أعطاه، والله هو الفعال لما يريد.

وإذا كانت أعمالا يعرفونها عن غيرهم فلا يعيبون أولئك؛ ولكن عليهم أن يحمدوا ربهم الذي عافاهم من عيب غيرهم، ولو شاء الله لجعلهم أسوأ حالا ممن يظنون به السوء، هـٰذا إذا كان من يظنون به السوء مسيئا.

ثم هل يعلمون علىٰ الذي أساء أنه تعمد الإساءة، إذا كانت الإساءة واقعة فعلا لابد من التعاون علىٰ البر والتقىٰ، فنسأل الله أن يجعلنا من أولئك.

نسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يوفقنا جميعا لصالح العمل، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يرزقنا حسن التمسك بدينه والعض عليه بالنواجذ، وأن يغسل قلوبنا من كل داء وبلاء وفتنة، إنه مجيب الدعاء.



(١) **البخاري**: كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، حديث رقم (٢١١٨).

مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، حديث رقم (٢٨٨٤).